الفصل الأول

1

تطور الاتصال الإنساني:
ثلاث ثورات اتصالية إسلامية

كيف تطور الاتصال الإنساني؟ وهل هناك ضرورة لدراسة هذا التطور؟ وماذا يمكن أن يستفيد دارس الإعلام الحديث والذي يعد نفسه لممارسة العمل الإعلامي من دراسة هذا التطور؟

دراسة التاريخ ليست ترفاً ، لكننا ندرس التاريخ بحثاً عن الأسس العلمية لبناء المستقبل. ودراسة تطور الاتصال يمكن أن توضح لنا مستقبل الحضارات، وما يمكن أن تقدمه للبشرية في المستقبل.

إننا ندرس تطور الاتصال الإنساني لأن ذلك يمكن أن يوضح لنا كيف يمكن أن نبني القوة الاتصالية لأمتنا في المستقبل.

وهذا التطور يمكن أن يرشدنا إلى الفرص التي يمكن أن نستغلها لبناء صناعة إعلامية واتصالية جديدة ومتميزة وبناء مجتمع المعرفة. كيف؟

إن دراسة تطور الاتصال يمكن أن تزيد قدرتنا على بناء نظريات جديدة .. فكيف تطور هذا الاتصال وما المراحل التي مر بها؟.

أولاً- مرحلة الاتصال المباشر باستخدام اللغة:

روج كثيرٌ من الباحثين الغربيين خرافة أن الاتصال بين الناس بدأ بالخبط والصراخ والطبل والدخان، وذلك استناداً إلى نظرية دارون (النشوء والارتقاء). وطبقاً لهذه النظرية فإن الإنسان تطور من القرد! وبالتأكيد، فإن هذه النظرية تهدف إلى ترسيخ فكرة دونية الإنسان، وأن بعض الأجناس قد تطورت بشكل أسرع من الأجناس الأخرى مثل الجنس الأبيض. لذلك، روجت القوى الاستعمارية هذه النظرية وفرضتها على البشر، وانتشرت في الجامعات حتى أن أحد مدعي الثقافة في مصر طالب بفصل أساتذة الجامعات الذين لا يعترفون بهذه النظرية من وظائفهم.

وهذه النظرية تتناقض بشكل تام مع الإسلام الذي يعلمنا أن الله خلق الإنسان من طين خلقاً مكتملاً ليكون خليفة في الأرض.

والإنسان الأول هو آدم عليه السلام، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾

الله -سبحانه وتعالى- هو الذي خلق آدم وكرمه ليكون خليفة في الأرض. وهذا من أسس العقيدة الإسلامية.

والمسلم لابد أن يرفض نظرية دارون حيث إنها تهدف إلى تغييب وعي الناس بحقيقة تكريم الله للإنسان، ودفعهم إلى الخضوع للاستبداد والاستعمار، وقبول سيادة العنصر الأوروبي والغربي، والجنس الأبيض وتفوق اليهود.

وللأسف، نقل بعض علماء العرب هذه النظرية وكرروا الخرافات حول بداية الاتصال الإنساني.

ولقد قص علينا القرآن قصة خلق الإنسان في سور عديدة،حيث أمر الله -سبحانه وتعالى- الملائكة أن تسجد لآدم.

كما أوضحت لنا سورة البقرة أن الله علم آدم الأسماء وهي أساس اللغة، ومنها يتم اشتقاق الأفعال وتتكون الجمل، ويستخدمها الإنسان في التفاهم وبناء الرسائل.

يقول الله -سبحانه- وتعالى:﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ فالله سبحانه وتعالى «أعطى لآدم القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها- وهي ألفاظ منطوقة – رموزاً للأشخاص والأشياء المحسوسة. وهي قدرة ذات قيمة كبرى في حياة الإنسان على الأرض، ندرك قيمتها حين نتصور الصعوبة الكبرى،- لو لم يوهب الإنسان القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات- والمشقة في التفاهم والتعامل حين يحتاج كل فرد لكي يتفاهم مع الآخرين على شيء أن يستحضر هذا الشيء بذاته أمامهم ليتفاهموا بشأنه.

إنها مشقة هائلة لا نتصور معها حياة، كما أن الحياة ما كانت لتمضي في طريقها لو لم يودع الله هذا الكائن القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات.

لقد وهب الله للإنسان سر المعرفة، كما وهبه سر الإرادة المستقلة التي تختار الطريق .. إن هذه بعض أسرار تكريمه.»[1]

ومن هنا ، نستطيع أن نكتشف الارتباط بين أربعة أركان للاتصال للإنساني هي:

(1) كانت نقطة البداية لتطور الاتصال هي اللغة والتي كانت أساس بناء الحضارات وتعمير الأرض.

(2) ارتبط الاتصال بخلق الإنسان؛ فعندما خلق الله الإنسان علمه الأسماء، وبذلك أعطاه القدرة على الحياة، وإعمار الأرض وبناء المجتمعات الإنسانية.

(3) ارتباط الاتصال بتكريم الله للإنسان؛ فقد أمر الملائكة أن تسجد لآدم، وأوضح لهم أنه أعطاه القدرة على تسمية الأشياء، وتطوير اللغة عن طريق هذه الأسماء. وبذلك، يرتبط حق الإنسان في الاتصال بوظيفته الحضارية على الأرض، وتكريم الله له، ومن ثم فإن حرمان الإنسان من الاتصال هو اعتداء على كرامته وتميزه الإنساني.

(4) ارتباط حق الاتصال بالتوحيد، فالله سبحانه الواحد الأحد هو خالق الإنسان، وهو الذي كرمه وأنعم عليه بأن أعطاه القدرة على بناء الرسائل باستخدام اللغة والتفاهم والتعارف وتبادل المعلومات والمعرفة، وبناء المجتمعات الإنسانية وتطوير الحضارة وإعمار الأرض.

هذه الأسس التي نبني عليها رؤيتنا الحضارية لبداية الاتصال، وانطلاق الإنسان بهذه القدرة على الأرض -يمكن أن تساهم في تطوير الاتصال كحق للإنسان، وتصور دور الاتصال ووظائفه الحضارية.

إن الاتصال حق للإنسان أعطاه الله له ليقوم بدوره ووظائفه، فهو من متطلبات الحياة. ويرتبط هذا الحق بالحرية والكرامة والإرادة.واعتراف الإنسان بأن هذه القدرة على الاتصال هي نعمة من الله الذي خلقه وكرمه، وأن هذه القدرة دليل على تكريم الله لآدم يجعله يكافح لحماية هذا الحق في الاتصال، وتطوير قدراته ليتصل بكفاءة بالآخرين، حيث إنه كلما تزايدت قدرته على الاتصال زادت قدرته على بناء الحضارة.

مع ذلك، فإن البشرية قد شهدت فترات طويلة قيد فيها المستبدون والطغاة هذا الحق لمنعهم من تبادل المعرفة، وتقييد حريتهم في نقل الرسائل.

ثانياً- مرحلة الكتابة

وقد عاشت البشرية لفترة طويلة من تاريخها على الاتصال باستخدام الاتصال اللفظي المنطوق فقط، حيث كان هذا الاتصال كافياً لتبادل الرسائل وتحقيق التفاهم ونقل المعلومات.

لكن الاتصال اللفظي المنطوق الذي لعب دوراً مهماً في حياة البشرية على الأرض لم يعد كافياً لنقل الرسائل، فقد احتاج الإنسان إلى حفظ المعلومات والمعرفة، ونقلها بأساليب اتصالية أخرى غير الكلمات المنطوقة، وقد استطاع الإنسان عبر رحلة بحثه لتدوين رسائله ومعلوماته لنقلها إلى أجيال أخرى وحفظها- أن يطور الكتابة.

وقد تمكنت الحضارات المختلفة من تطوير حروفها المكتوبة وأساليب الكتابة عبر فترات زمنية طويلة، ويمكن أن نرصد محاولات للتدوين باستخدام الصور،لكن نبي الله إدريس -عليه السلام- هو

أول من خط بالقلم. وهذا يعني أن الكتابة بدأت في حياة البشرية فعلياً في عهد إدريس -عليه السلام -الذي دون الصحف التي أنزلت عليه من الله.

وبذلك، بدأت مرحلة مهمة في تاريخ الاتصال الإنساني، حيث استخدم الإنسان الحروف لكتابة المعرفة وحفظها، كما لعبت الكتابة دوراً مهماً في التعليم، الذي كان من أهم العوامل التي أدت إلى تطور الحضارات التي قامت بدورها بأدوار مهمة في تطوير التعليم والاتصال.

وقد استخدمت كل الحضارات الاتصال المباشر باستخدام اللغة المنطوقة والمكتوبة لتطوير الحياة الإنسانية وساهم هذا الاتصال بدوره في تطوير هذه الحضارات. ويمكن أن نذكر دور الاتصال في الحضارة الإغريقية التي كان الاتصال المباشر أهم وسائلها لإنتاج المعرفة وتبادلها وإدارة المجتمع، ثم الحضارة الرومانية. لكن، يمكن أن نلاحظ بوضوح في تاريخ الحضارة الرومانية أنها قيدت حق الاتصال والحق في المعرفة، واضطهد الأباطرة الرومانيون الناس واعتبروهم عبيداً، وطاردوا المسيحيين (الأريسيين) الذين رفضوا اعتناق عقيدة التثليث التي عمل هؤلاء الأباطرة على فرضها على الشعوب.

وكان تقييد حق الاتصال هو وسيلة الأباطرة المستبدين لمنع الناس من الحصول على العلوم والمعرفة التي يمكن أن ترقي حياتهم وتساهم في رفضهم للاضطهاد.

كان الأباطرة الرومان يعتبرون أن الرقيق لا حق لهم في الاتصال أو المعرفة، وكان على الرقيق أن يقوموا بالإنتاج المادي فقط لمصلحة هؤلاء الأباطرة.

ثالثاً- مرحلة الاتصال في الحضارة الإسلامية

طورت الحضارة الإسلامية الاتصال بحيث يمكن أن نصف هذا التطوير بأنه يشكل ثورة في الاتصال الإنساني واستخدامه في بناء الحضارة. لماذا؟ بدأت الحضارة الإسلامية بنزول الوحي على سيدنا محمد، وكانت ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ هي أول آية نزلت من القرآن على سيدنا محمد-ﷺ-.

بهذه الآية بدأ عصر جديد في حياة البشرية، ونشأت حضارة ملأت الأرض علماً ومعرفة.

أنعم الله على البشرية بأن أعطاها المعرفة التي تطلق طاقاتها لتعمير الأرض وعبادة الله.

وكان الاتصال من أهم الوسائل لنشر هذه المعرفة لذلك فقد أكد الإسلام منذ البداية على حقين مهمين للإنسان هما:

(1) حق الإنسان في الاتصال.

(2) حق الإنسان في المعرفة.

فكل مسلم من حقه على المجتمع المسلم أن يحصل على المعرفة، وأن يوفر له كل الوسائل للحصول عليها لأنها أغلى الثروات، وأثمنها وأهمها. المعرفة هي الثروة الأساسية للمجتمع المسلم وللإنسان المسلم، وهي أساس الحضارة الإسلامية، والمسلم مكلف بأن ينقل هذه المعرفة للآخرين. إنه واجب وليس مجرد حق يمكن التخلي عنه، إنه وظيفة دينية وإنسانية وحضارية، فمن حق الناس في كل مكان أن يحصلوا على هذه المعرفة، والمسلم لابد أن يقوم بالوفاء بحق الناس في كل مكان في الحصول على هذه المعرفة.

المسلم يعرف قيمة هذه المعرفة التي أعطاها الله له، ويدرك أنها نعمة من الله وفضل، وأن هذه المعرفة هي أعظم ما يمكن أن يقدمه للبشرية، وأن وظيفته الحضارية أن ينقل هذه المعرفة لهم.

لذلك، فإن المسلم لابد أن يحرص على الحصول على هذه المعرفة، وهذا بالفعل ما يوضحه سلوك الصحابة في المدينة، وكيف كانوا يتبادلون الأدوار فيذهب أحدهم في طلب الرزق وأداء العمل أو التجارة، بينما يظل الثاني في صحبة رسول الله -ﷺ- ليتعلم منه، فإذا عاد من رحلته جلس فعلمه، ونقل إليه كل ما قاله الرسول، وما حفظ من آيات القرآن، وفي اليوم الثاني يقوم الثاني للعمل، ويجلس صاحبه ليتعلم.

ارتبط ذلك أيضاً بعلاقات إنسانية قوية بين المسلمين في المدينة، حيث آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار، وقامت هذه العلاقات الإنسانية بدور مهم في نشر المعرفة، فأصبح مجتمع المدينة في عهد الرسول أول مجتمع معرفة في التاريخ.

كان صحابة رسول الله-ﷺ- ينقلون المعرفة بعد أن يبذلوا كل الجهد في الحصول عليها من رسول الله.

وبمجرد الحصول عليها فإنه يقوم بوظيفته، ويؤدي واجبه في نقلها للآخرين. وفي هذا المجتمع المعرفي تعلم الآلاف من أصحاب رسول الله-ﷺ-، وأعدوا أنفسهم للقيام بوظيفتهم في نقل المعرفة لكل البشر.

وقد تميز مجتمع المدينة بأنه ضم أفراداً من أعراق وثقافات وحضارات مختلفة، مثل: سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي وغيرهم. وحرص هؤلاء على نقل خبرات يمكن أن تفيد المجتمع الإسلامي من حضاراتهم الأصلية مثل فكرة الخندق، وفي الوقت نفسه فإنهم ساهموا في نقل المعرفة إلى أشخاص ينتمون إلى أعراقهم وثقافاتهم. وكل مسلم يحمل الرسالة إلى الآخرين، فجعفر بن أبي طالب استطاع أن يعبر بكفاءة أمام النجاشي عن حقيقة الإسلام، وينقل الرسالة بحب وثقة ودقة.

كذلك فعل مصعب بن عمير عندما أرسله الرسول -ﷺ- إلى المدينة.

كانت هذه نماذج توضح كيفية قيام الصحابة بالاجتهاد في الحصول على المعرفة ونقلها إلى الآخرين، والدعوة إلى الإسلام.

وتوضح قصة مصعب بن عمير مع سعد بن معاذ جانباً مهماً من جوانب الدعوة ونقل المعرفة وهو الصدق الذي يجذب القلوب، والذي جعل سعداً يحمل الرسالة ويدعو قومه لاعتناق الإسلام بمجرد أن أسلم.

هذا يوضح أيضاً أن الدعوة ونقل المعرفة وظيفة أساسية للمسلم، وواجب يقوم به عبادة لله، ويستخدم في أدائه كل مهاراته وقدراته. ارتبط حق المعرفة في الإسلام بحق الإنسان في أن يعلم، لذلك، فتح الإسلام كل المجالات والآفاق لتعليم الناس، ومن الرسول ﷺ تعلم المسلمون، وسألوا الرسول عن كل ما يهمهم، وما يصلح دنياهم، وما يستقيم به دينهم.

وبمجرد أن يعلم الإنسان فإن من حقه ومن واجبه أن يُعلم الآخرين.

هكذا ارتبط حق الإنسان في أن يعلم بحقه في أن يُعلم وبوظيفته الحضارية كمسلم في أن ينقل ما علمه للآخرين، وأن يُعلم الناس. وبهذا، استطاع المسلمون أن يحفظوا القصص الإنسانية والتي تشكل ثروة معرفية، وكل ما حدث خلال الغزوات وفي المجتمع الإسلامي بشكل عام. ارتبط ذلك بحق الإنسان في أن يتعلم، فالمجتمع المسلم كان يضمن لكل مسلم حقه في أن يتعلم حتى وإن لم يكن قادراً على البقاء في المدينة.

وشكل حق الإنسان في أن يتعلم أهم وأعظم إنجازات الحضارة الإسلامية طوال قرون عديدة، وكان هذا الحق أساساً لإنجازات حضارية عديدة، وأساساً لانتشار المعرفة.

كما ارتبط هذا الحق بحق الإنسان في أن يُعلمْ، وبمجرد أن يتعلم من حقه أن ينطلق في الحياة ليكون مُعلماً، ويعلم الآخرين على أساس أن ذلك يشكل جزءاً من وظيفته الحضارية.

والتعليم في الحضارة حق لكل إنسان وواجب، وهكذا انتشر المسلمون في آفاق الأرض يتعلمون ويُعلمون، وشارك المسلمون من كل الأجناس والأعراق والبلاد الذين تعلموا ثم أصبحوا معلمين.

وهكذا، كان انتشار المعرفة مصدر قوة للحضارة الإسلامية، إنها القوة الناعمة التي جذبت للإسلام كثيراً من الشعوب لم تصل الجيوش الإسلامية إليها، وفتحها المسلمون بالدعوة ونقل المعرفة.

وفي الوقت الذي كانت فيه الحضارة الإسلامية تعمل على نشر المعرفة وتبني بها قوتها الناعمة، وتفتح بها آفاق الحياة وإعمار الأرض أمام الشعوب كان أباطرة الدولة الرومانية وكنائسها تحتكر المعرفة، وتمنع الشعوب من الحصول عليها لتتمكن من استعبادها، وتحولها إلى مجرد أدوات للإنتاج.

ارتبط حق المعرفة في الإسلام بمنظومة من القيم مثل المساواة فلا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى. ولذلك، شاركت كل الأجناس في نقل المعرفة والدعوة إلى الإسلام ونشره حتى أصبح هناك علماء في اللغة العربية ليسوا من العرب.

كما أكد الإسلام على تكريم الله للإنسان، ومن الطبيعي أن يكون نقل المعرفة هو وظيفة أساسية لهذا الإنسان المكرم. فما بالك وأساس هذه المعرفة هي القرآن الذي أنزله الله على خاتم رسله.

إن نقل هذه المعرفة هي شرف للإنسان وكرامة له، فهو الإنسان المكرم الذي ينقل رسالة الله إلى البشر ليضيء بها حياتهم ويحررهم من العبودية لغير الله.

إنه الإنسان الذي علم وتعلم فأصبح من الضروري أن يقوم بوظيفته الحضارية في أن يُعلمَ الآخرين ويُعلمْهم، إنه معلم للبشرية، وهو يبني الحضارة بهذه المعرفة التي تشكل سلوك الإنسان وتنظم حياته وتقيم هذه الحياة على أساس منظومة من القيم الإسلامية.

الحق في الاتصال

كل تلك الحقوق لم يكن للإنسان أن يتمتع بها إذا لم يضمن له المجتمع حق الاتصال، ولقد فرضت كل الإمبراطوريات القيود على هذا الحق خاصة الإمبراطورية الرومانية.

لكن الإسلام كما كسر احتكار المعرفة، وأطلق طاقات الناس للحصول على المعرفة وإعادة إنتاجها ونشرها، فقد فتح المجالات للناس للاتصال فهو الوسيلة لنشر الإسلام والدعوة إليه، ونشر المعرفة، والتعلم والتعليم والإعلام.

وهكذا، تمتع الناس في عهد الرسول ﷺ ثم في عهد الخلفاء الراشدين بهذا الحق، فانطلقت طاقاتهم وقدراتهم، واستطاعوا بناء أول مجتمع معرفة في التاريخ.

لقد ربط الإسلام بين كل الحقوق الإنسانية، وحقق التكامل والشمول بينهما مع منظومة قيمية تحفظ التوازن بين هذه الحقوق .

ولذلك، فإن الإسلام كما ضمن هذه الحقوق وكفلها للجميع، فقد قدم منظومة أخلاقية وقيمية للاتصال سوف نقوم بشرحها في كتاب آخر.

فما يهمنا هنا هو أن هذا الحق هو من أهم الإنجازات الحضارية الإسلامية، وقد ساهم هذا الحق في انتشار الإسلام وزيادة قوته الثقافية، وبناء ثروته الفكرية. لقد كان هذا الحق من أهم مصادر قوة الإسلام، وقد جذب هذا الحق كثيراً من الشعوب الذين عانت الاضطهاد الروماني، وتم تقييد حقها في الاتصال مثل المصريين الأريسيين.

ولقد طور الإسلام الاتصال المباشر على النحو الآتي:

أ- الاتصال الشخصي:

فقد كان للعلاقات الإنسانية التي طورها الإسلام بين المسلمين، والربط بين المجتمع، ورفض العنصرية، والمساواة بين المسلمين -دور مهم في تطوير الاتصال الشخصي واستخدامه في التعليم ونشر المعرفة والدعوة الإسلامية وزيادة القوة الاتصالية للمجتمع.

ونظراً لأن الاتصال الشخصي هو أكثر أنواع الاتصال تأثيراً فقد ساهم هذا الاتصال في زيادة ترابط المجتمع الإسلامي وتماسكه وتوحده.

كان هذا النوع من الاتصال هو الأداة التي استخدمها المسلمون بشكل يتميز بالاستمرارية في بناء مجتمع المعرفة، فالجميع ينقل المعرفة إلى الجميع في محادثة مستمرة ومناقشة مفتوحة.

هذا الاتصال أيضاً فتح مجالاً إسلامياً عاماً يتم فيه تبادل الآراء، وتشكيل الرأي العام، وصنع القرارات، واختيار القادة بعد رسول الله ابتداء من الخليفة كما حدث في سقيفة بني ساعدة حيث تم اختيار الخليفة الأول أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وتحقيق توافق الأمة عليه.

ساهم هذا الاتصال الشخصي أيضاً في تحقيق الشورى وتوسيعها في تجربة جديدة على البشرية.

لذلك، كان هذا النوع من الاتصال وسيلة لما يأتي:

1- نشر الدعوة الإسلامية.

2- نشر المعرفة.

3- التعليم.

4- الإعلام.

5- التعبير عن الرأي.

6- الشورى.

7- المساهمة في صنع القرارات.

8- بناء مجال عام إسلامي.

ب- الاتصال داخل الجماعات الصغيرة:

طورت الحضارة الإسلامية هذا النوع من الاتصال كوسيلة للتعليم ونشر المعرفة، فشهدت المساجد الإسلامية تجمع مجموعات من المتعلمين حول شيخهم في حلقات.

ثم يقوم المتعلمون بعد ذلك بتشكيل حلقات يتجمع فيه متعلمون جدد، فتنقل المعرفة بسرعة في المجتمع، ثم تكونت الفصول الدراسية، وتحول المجتمع الإسلامي إلى مدارس، وهو ما أدى بعد ذلك إلى نشأة أساتذة الأعمدة في المساجد مثل الجامع الأزهر، والذي بنيت على أساسه النظم الحديثة في الجامعات الأوروبية.

جـ- الاتصال الجمعي:

من أهم الإنجازات الحضارية الإسلامية تطوير الاتصال الجمعي وتطوير قدرات القائمين بالاتصال الجمعي أو ما يمكن أن نطلق عليه الخطباء. وتوضح خطبة الوداع أن هذا النوع من الاتصال قد تطور لدرجة تقترب من الاتصال الجماهيري حيث خاطب الرسول ﷺ أكثر من مائة ألف من المسلمين الذين حفظوا خطبته التي تعتبر أول إعلان لحقوق الإنسان.

ما يهمنا هنا هو أن هذا النوع من الاتصال قد تطور بدرجة يمكن أن نطلق عليه الاتصال العام وهو مخاطبة عدد كبير من الجماهير.

وبالطبع، فإن هذا الجمهور له خصائص متميزة عن أي جمهور آخر من أهمها الحب لرسول الله ﷺ وحرصهم على الاستماع إلى كل كلمة، وأن ينقل الرسالة كاملة إلى جماهير أخرى لم تحضر تلك الخطبة.

مع ذلك، فإننا يمكن أن نقرر أن هذا النوع من الاتصال قد تطور بشكل كبير، وكانت خطبة الجمعة من أهم الوسائل التي أدت إلى هذا التطور، وأدت إلى زيادة حاجة المجتمع إلى قائمين بالاتصال يتميزون بالقدرة على مخاطبة عدد كبير من الجمهور، ونقل رسالة تساهم في نشر المعرفة الإسلامية.

هؤلاء الخطباء كان لهم تأثير كبير في عملية الاتصال في المجتمع الإسلامي، وأصبح هؤلاء يشكلون قادة رأي للمجتمع حيث يقومون بنقل المعرفة للجمهور.

وكان انتشار المساجد في الحضارة الإسلامية من أهم العوامل التي أدت إلى تطوير الاتصال الجمعي بالإضافة إلى الاتصال الشخصي والاتصال داخل الجماعات الصغيرة.

كان الاتصال الجمعي أيضاً من الوسائل التي استخدمها القادة المسلمون خلال الغزوات والفتوحات الإسلامية في تعبئة الجنود وشحذ عزائمهم.

رابعاً- تطوير المضمون

كان من أهم الإنجازات الحضارية الإسلامية تطوير مضمون الرسائل .. فماذا يمكن أن يقول الإنسان للناس في رسائله عندما يتمتع بحق الاتصال؟

إن القائم بالاتصال يحتاج إلى مضمون جذاب ينقله للآخرين. لذلك، فقد فتح الإسلام مجالاً واسعاً لمضمون متميز يقوم معظمه على القرآن والسنة. بالإضافة إلى تصوير حركة المسلمين وهم يبنون حضارة جديدة، ويفتحون البلاد، ويقدمون خلال هذه الحركة قصصاً إنسانية، وينتجون تجارب وخبرات جديدة .. ويتصلون بالشعوب الأخرى لنقل المعرفة الإسلامية.

كان هناك ثورة في عملية إنتاج المضمون، والمسلم عندما ينقل هذا المضمون في عملية الاتصال المستمرة فإنه يقوم بوظيفته الحضارية، وواجبه الإسلامي. والقائم بالاتصال المسلم ينقل رسالة يحبها ويؤمن بصحتها وصدقها إلى أفراد وجمهور يحبهم لدرجة أنه يريد أن يعطهيم أجمل وأثمن وأعظم ما يمتلك وهو المعرفة الإسلامية، إنه يحب ذلك المضمون ويؤمن به ويعتقد بصحته لذلك، ينقله إلى جمهور يحبه، ويريد أن يضيء حياته بهذه المعرفة.

خامساً- الثورة الاتصالية الإسلامية

يتضح من ذلك أن الإسلام شكل ثورة في الاتصال الإنساني تتمثل أهم ملامحها فيما يأتي:

أ- الربط بين الحقوق الآتية:

1- الحق في الحصول على المعرفة.

2- الحق في نقل المعرفة إلى الآخرين.

3- حق الإنسان في أن يَعلمْ.

4- حق الإنسان في يُعلِم (بمعنى أن ينقل ما علمه للآخرين).

5- حق الإنسان في أن يتعلم .. وهو حق وواجب في الوقت نفسه.

6- حق الإنسان في أن يُعلم (حيث يصبح معلماً للآخرين).